

عش مع القرآن
سورة آل عمران

26 مارس 2024 | 16 رمضان 1445 | الدرس # 109

المقدمة

دعاء

اللهمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

تدبر سورة آل عمران – الآية 32

سورة آل عمران 36 – 31

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ قُلْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
(32)

﴿﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى
الْعَالَمِينَ (33)

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتْ
امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ
مِنِّي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ
إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ
ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ (36)

○ سورة آل عمران محورها عن الثبات وكي يثبتنا الله على
الواامر من البداية.

○ جعل اتباع النبي (ﷺ) هو دليل محبة الله تعالى، وهو السبيل
إلى محبة الرب لعبده، ثم أمر بطاعته، وطاعة رسوله (ﷺ).
○ وأن التولي عن ذلك كفر {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}.

- أي دليل محبتنا لله سبحانه وتعالى محبتنا للنبي (ﷺ)، فنحن نحتاج للثبات من الباطن بمحبة الله سبحانه وتعالى، ومن الظاهر باتباع النبي صلوات ربي وسلامه عليه.
- بعد هذا جاء السياق للحديث عن المسيح، وكما قلنا: بأن صدر هذه السورة إلى بضع وثمانين آية هي في محاوراة النصارى، والرد عليهم، فكان هذا المدخل في بيان حقيقة المسيح، والرد على النصارى فيما اعتقدوا فيه من الباطل،
- فبدأ بالحديث عن الاصطفاء، والاجتباء ليكون ذلك أدعى إلى القبول، قبول هؤلاء الذين يزعمون أنهم أتباع المسيح
- وأكثر المفسرين يقولون: صدر سورة آل عمران نازل في وفد نجران حينما جاءوا إلى المدينة، فهذه توطأة؛ ليتحدث عن ميلاد المسيح □، وما جرى له بعد ذلك، وما وقع على يديه من الآيات الدالة على نبوته، وكذلك ما حصل له من الرفع بخلاف ما اعتقده اليهود من صلبه، وروجوا ذلك على النصارى حتى صدقوه، واعتقدوه.

○ و النصارى واليهود كلاهما من أهل الكتاب و لكن الأسلوب المتبع في القرآن مع اليهود يختلف عن الأسلوب المتبع مع النصارى لأن من الثبات التعامل مع الآخرين بما يناسبهم، لذلك سورة البقرة تكرر ذكر اليهود لأن محور السورة عن المنهج واليهود لديهم العلم وكثرة الأنبياء ،ولكن علمهم أدى لقسوة قلوبهم والكبر بسبب ادعاءاتهم أنهم أبناء الله وأحباؤه.

○ بينما النصارى لا علم لديهم لكن لديهم المشاعر فيتعلقون بالذكريات ويتعاطفون معها، مثال تعاطفهم مع ما حدث لعيسى عليه السلام وأمه:

سورة المائدة 82

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى

○ لان دينهم قائم على المشاعر ،وعيسى عليه السلام لما جاءهم خفف عنهم الكثير من الامور وهذا ضايق اليهود ،لذلك نرى المحاوره تختلف معهم فيجب أن تكون باللطف وزيادة تفاصيل ،فالثبات في كيفية تعاملي مع الآخرين فلا اضع احد بفتنة،

لذلك بداية ذكر الآيات 32.31 ثم ذكر عن مريم وعيسى عليه السلام وانه ليس ابن الله، فبداية يذكر ما نتفق به معهم، ثم نخبرهم القصة بتفاصيل اكثر وبالتدرج لنصح اخطاءهم باللفظ وهذا في الآيات من 33:64، لأن إن أخبرناهم بدايةً عن محمد قد ينفرون لارتباطهم عاطفياً بمريم وعيسى (عليه السلام)، فمن الثبات الان نقم معلوماتنا على الآخرين، فثبات النفس موجود بالآيات 31،32، ثم مناقشة النصارى بما يعلمون في الآيات 33،34 وهذا لتحقيق ثبات الآخرين.

○ واليهود دائما كانوا يسهون من النصارى بقولهم:

سورة البقرة 113

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ

○ لذلك القرآن ذكر عن النصارى وعن عيسى عليه السلام ومريم بأسلوب لطيف ليعطيهم الاطمئنان.

سورة آل عمران 33

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ

○ إِنَّ اللَّهَ: أي المألوه المعبود ولم يذكر الرب لأن الرب بها التربية، وإن تفيد التأكيد، والله به التعظيم أي لا كلمه بعد كلمه الله، فلا نقول لماذا اختار واصطفى هؤلاء مثلا، واسم الله أي فقط نتعلق به ولا نجادل.

○ معنى الاصطفاء: الاختيار والانتقاء، يقال: اصطفى، يصطفي، اصطفاء، أي: اختار الأصفى.

○ وصفوة الناس: خيرتهم. وأصله من الصفو، وهو: النقاء والخلوص.

○ والاصطفاء: التخليص والاستخلاص.

○ ويستعمل بمعنى التفضيل على الغير، كقولك: اصطفيت فلانا على فلان، أي: فضلته عليه. ويأتي بمعنى التخصيص أو الاختصاص.

○ ومن معانيه أيضا: الاجتباء، والتمييز، والترجيح، والإيثار..

○ ابلّيس احتج على اختيار الله سبحانه وتعالى لأدم، ابني آدم لماذا تقبل الله من احدهما ولم يتقبل من الآخر، اليهود احتجت على النبي صلوات ربي وسلامه عليه لأنه من العرب، وقريش واحتجاجهم على الرسول فكل هذا الاحتجاج والجدال بسبب اصطفاء الله سبحانه وتعالى.

○ المنافق عبدالله بن ابي بن سلول، وحسده لمحمد لما بايعه الأوس والخزرج ولم يبايعوا عبدالله بن أبي سلول، فهذا أدى به لأن ينافق ويظهر أنه مع النبي صلوات ربي وسلامه عليه ويبطن الكفر، وهذا من أسوأ أنواع الحسد. فكل ما سبق من القصص بسبب اصطفاء الله لذلك الاصطفاء دليل الثبات لأنه يظهر امراض القلوب.

○ الاصفاء هو من أفعال الله، وهو نوع تخصيص وتفضيل وتمييز من الله، وهذا التمييز ليس فقط لمجرد مصالح الخلق انما لحكم إلهيه قائمه بذات الله وليست مجرد مصالح.. أي لا نقاش بعده فالأولى التسليم.

○ -الاصطفاء مبني على كمال الحكمة وكمال العلم. (صفات ذاتية لله)

○ ولما نعلم هذا نستسلم، ونشكر الله ونحمده، أي نحقق الآية:

سورة الأعراف 144

فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ

○ وهناك نوعان من الاصطفاء: اصطفاء خاص: وهو: اصطفاء بالوحي، ولا يكون ذلك إلا للأنبياء والرسل، حيث اصطفى الله تعالى رسله وأنبياءه وخصهم بالرسالة والتشريف؛ لما هم عليه من صفات حميدة وأفعال سديدة، كما أن اصطفاءه لهم يتفاوت من رسول إلى آخر بالتكليم والخلة ونحو ذلك.

سورة البقرة 253

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ

○ الله من فضل بعضهم على بعض ولكن رد فعلنا نحن {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}، الاصطفاء العام: كاصطفاء مريم عليها

السلام بأن كلمتها الملائكة، ووهب لها عيسى عليه السلام من غير أب، وجعلها وابنها آية للعالمين، وكاصطفاء الصحابة رضي الله عنهم لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، واصطفاء العلماء لحمل العلم الصحيح والدعوة إليه، وغير ذلك من صور الاصطفاء.

○ الغاية من الاصطفاء:

1. تبليغ شرع الله ودينه

2. تحقيق عبودية الله في الأرض.

○ **{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ}**، يخبر تعالى باختيار من اختاره من أوليائه

وأصفيائه وأحبابه، اختار هؤلاء، وجعلهم أصفياء على الخلق،

اصطفاهم على العالمين، اصطفاهم على أهل زمانهم من أجل

أن لا يكون ذلك، أو لا يفهم منه أنهم أفضل من النبي (ﷺ).

○ وبعضهم يقول هذا على إطلاقه إلا أن النبي (ﷺ) بلا شك

أكمل، وأفضل لكنه لم يُذكر؛ لشهرته، وأنه خليل الرحمن؛

ولأن الحديث موجه إلى النصارى ليكون ذلك مدخلاً لبيان الاعتقاد في المسيح، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ فِالْأَصْطَفَاءِ هُوَ الْاجْتِبَاءُ،

1. آدم نبي وهو أول الأنبياء

2. ونوح هو أول رسول إلى أهل

3. إبراهيم أبو الانبياء

○ {آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَنُوحًا
وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}، أتى بأناس لا نتحسس
منهم، ونقيس عليه ألا نتكلم في نقاط تضايق أو تؤذي مشاعر
الآخرين.

○ نريد ان نثبت ونصدق لذلك الأفضل الا نأتي بما يتحسون
منه.

○ للثبات نطرح كل أمر بالتدرج لأننا نريد منهم ان يستمعوا لنا.

◉ ومن هم الذين اصطفاهم الله؟ {آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}، يخبر تعالى باختيار من اختاره من أوليائه وأصفيائه وأحبابه، فأخبر أنه اصطفى.

◉ آدم، أي: اختاره على سائر المخلوقات. فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه. وعلمه كل الأسماء وأمر الملائكة بالسجود له. وأسكنه جنته. وأعطاه من العلم والحلم والفضل ما فاق به سائر المخلوقات، ولهذا فضل بنيه، فقال تعالى:

سورة الإسراء 70

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا

◉ نوح عليه السلام: جعله أول رسول إلى أهل الأرض حين عبدت الأوثان، ووفقه من الصبر والاحتمال والشكر والدعوة

إلى الله في جميع الأوقات ما أوجب اصطفاؤه واجتباؤه. وعبد
شكور أي لم تهمة نفسه.

○ واصطفاه في بناء أول سفينه وتبنى في الصحراء، وشغله
ببنائها وهذا مهم في الدعوة.

○ استهزاء الناس به من المعوقات، ولكن كل هذا دليل عبوديته
وتوكله.

○ وأغرق الله أهل الأرض بدعوته.

○ ونجاه ومن معه في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين.

○ وترك عليه ثناء يذكر في جميع الأحيان والأزمان.

○ لما نرى اصطفاء الأنبياء وكذلك البشر نشكر الله لأنه العليم،
وهذا من الثبات فكل مخلوق ميسر لما خلق له.

○ واصطفى آل إبراهيم: فذكر إبراهيم هنا "آل إبراهيم" يمكن أن

يكون ذلك لجذب نفوس هؤلاء المخاطبين الذين يحتج عليهم

ببيان التوحيد، والرد على عقائدهم الفاسدة في المسيح، وغير

ذلك.

○ هنا هؤلاء يعترفون باصطفاء إبراهيم، وهو أبو الأنبياء، كل

الأنبياء الذين من بعده كانوا من ذريته،

○ وهذا النبي؛ أعني إبراهيم هو الذي اتفقت الطوائف على

تعظيمه، يعني اليهود يُعظمونه، والنصارى يُعظمونه،

والمسلمون يُعظمونه،

○ والكل يدعي الانتساب إليه، وأنه على دينه، فأكذبهم الله كما

سيأتي في ثنايا هذه السورة مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا

وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا [آل عمران:67]، وبين بطلان ما

يعتقدونه من كونه يهوديًا، أو نصرانيًا.

○ وهذا يكون مدخلًا لأن الله اصطفى محمدًا ﷺ للنبوّة كما

اصطفى إبراهيم لذلك، فهو من آل إبراهيم؛ أعني محمدًا (ﷺ)،

وهو من ذريته، من ولد إسماعيل،

○ وكما قال: النبي (ﷺ) إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل،

واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم،

واصطفاني من بني هاشم فهذا من اجتنائه -تبارك وتعالى-،
واختياره.

○ واصطفى آل إبراهيم وهو إبراهيم خليل الرحمن
○ الذي اختصه الله بخاتمه،

○ وبذل نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان، ودعا إلى
ربه ليلا ونهارا وسرا وجهارا،

○ وجعله الله أسوة يقتدي به من بعده، وجعل في ذريته النبوة
والكتاب.

○ ويدخل في آل إبراهيم جميع الأنبياء الذين بعثوا من بعده لأنهم
من ذريته، وقد خصهم بأنواع الفضائل ما كانوا به صفوة على
العالمين،

○ ومنهم سيد ولد آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله
تعالى جمع فيه من الكمال ما تفرق في غيره، وفاق صلى الله
عليه وسلم الأولين والآخرين، فكان سيد المرسلين المصطفى
من ولد إبراهيم.

اصطفاء الله

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِن وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِّن كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِّن قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِّن بَنِي هَاشِمٍ.¹

○ واصطفى آل عمران:

○ وهو والد مريم بنت عمران، أو والد موسى بن عمران عليه السلام، فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل الصلاح والتوفيق بذرياتهم وهم مندرجون في آل إبراهيم، لكن هذا أخص ليكون ذلك مدخلاً للحديث عن المسيح، والحمل به، وولادته، وما كان من نذر امرأة عمران إلى غير ذلك مما ذكره الله من التفاصيل، كل ذلك هو في

¹ صحيح مسلم 2276.

غاية المناسبة للحديث عن هذه القضية التي كثر ضلالهم فيها،
ويزعمون أنهم أولى بالمسيح.

◌ {عَلَى الْعَالَمِينَ}، كل العالمين أو في زمنهم، وهذا مدعاه
للقبول.

اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء.
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المصادر

1. تفسير الشيخ السعدي

2. تفسير ابن كثير

3. تفسير الشيخ بن عثيمين

مصادر اضافية

للاستماع للدرس - للنساء فقط

<https://vimeopro.com/markazalsalam/live-with-the-quran-surah-al-imran-ar>

لطلب الاستماع للدرس:

<https://markazalsalam.com/recordings-notes>

الدروس السابقة في قناة تلغرام- هذه القناة لنساء والرجال

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة الإنجليزية

<https://t.me/markazalsalampublicationsENG>

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة العربية

<https://t.me/markazalsalampublicationsAR>

للمبتدئين في الإسلام

<https://t.me/truthfulentry>